



كنيسة مارمرقس القبطية
الأرثوذكسية بمصر الجديدة

لماذا الاعتراف؟

القس / داود لمعى

الكتاب : لماذا الاعتراف .

إعداد : القس داود لمعى

الناشر : كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة

المطبعة : دار نوبار للطباعة



صاحب القداسة
الأنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية
وبطريك الكرازة المرقسية

مقدمة

كثيرون يتساءلون.. لماذا نعتزف على يد كاهن وهو.. إنسان.. قد يخطئ مثلنا؟.. ولماذا لا نعتزف بخطايانا أمام الله وحده؟..

ولماذا يقف الكاهن كوسيط بيني وبين الله؟ وهل لا تكفى الصلاة والتوبة للغفران؟

وآخرون يتساءلون.. كيف نعتزف؟ هل نقول كل التفاصيل؟ هل نخفي المشاكل؟ هل نكر الاعتراف بأخطايانا السابقة؟ وماذا عن أخطايانا القديمة التي تركناها؟

هذا السر عظيم.. نعمت سماوية.. فيها الأبوة والتلمذة والغفران والإرشاد والراحة.. والباب الضيق للملكوت.

الله يعطينا جميعاً توبة صادقة وأمانت في حياتنا وإعترافاتنا وجهاداً يليق بتعبه وصليبه وملكوته الأبدى.

الرب يحفظ لنا وعلينا حياة وقيام أبينا المكرم البابا الأنبا شنودة الثالث الذي أثار عقولنا وحرك قلوبنا لعمق الأرثوذكسية وروعها.

صلوا من أجل ضعفى...

القس/ داود طعى

الباب الأول



معانى كلمت "اعتراف"
فى الكتاب المقدس

إعتاد الناس أن يفهموا كلمة اعتراف على أنها سر الاعتراف، وذلك لشيوعها وإستخدامها بكثرة فى فم أولاد الكنيسة، ولكن هذه الكلمة ذكرت فى الكتاب المقدس بثلاثة معانى مختلفة.

- الاعتراف... بالإيمان.
- الاعتراف... بفضل الله (الشكر والتمجيد).
- الاعتراف... بالخطية.

والاعتراف ككلمة يعنى ببساطة أن يكشف أو يعبر الإنسان عما فى داخله من أفكار ومشاعر روحية..

أولاً.. الاعتراف بالإيمان.

يؤكد معلمنا بولس إن الإيمان الداخلى ضرورى للمعمودية والخلاص "لأنَّ الْقَلْبَ يُؤْمِنُ بِهِ لِلْبَرِّ وَ الْقَمَّ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلَّاصِ" (رو ١٠ : ١٠)، والاعتراف العلنى بهذا الإيمان أيضاً ضرورى "لأنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِقَمِّكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ خَلَصْتَ" (رو ١٠ : ٩)

وبهذا المعنى تكلم ربنا يسوع - له المجد - قائلاً.. "فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرَفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أُعْتَرَفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ١٠ : ٣٣) وفى هذا أيضاً يوصى معلمنا بولس الرسول تلميذه قائلاً "جَاهِدْ جِهَادَ الْإِيمَانِ الْحَسَنَ، وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضاً، وَاعْتَرَفْتَ الاعْتِرَافَ الْحَسَنَ أَمَامَ شُهُودٍ كَثِيرِينَ" (١ تي ٦ : ١٢)،

ويرجع هذا الاعتراف بالإيمان إلى إعلان المسيح عن نفسه كاعتراف قائلاً "أَوْصِيكَ أَمَامَ اللَّهِ الَّذِي يُحْيِي الْكُلَّ وَالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي شَهِدَ لَدَى بِيْلَاطُسَ الْبَنْطِيَّ بِالْإِعْتِرَافِ الْحَسَنِ" (١ تي ٦ : ١٣).

وبنفس المعنى يهتف الكاهن فى نهاية صلاة القداس بالاعتراف الأخير قائلاً.. "أؤمن أؤمن أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحي الذى أخذه إبنك الوحيد" ويعلن إيمانه كاملاً، ويهتف الشماس وراءه "آمين آمين آمين أؤمن أؤمن أؤمن أن هذا هو بالحقيقة آمين"، كما يعترف الشعب كله صارخاً "آمين آمين آمين بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف".

وهذا الاعتراف بالإيمان لابد للموعوظين من الإجهار به قبل تقدّمهم لسر المعمودية والميرون.. ومازال الأشبين يقوم بهذا الدور فى حالة المعمودية الأطفال.. فيرفع يده ويعترف أمام الكنيسة "أؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل.. وإبنة الوحيد يسوع المسيح ربنا.. والروح القدس المحي.. وقيامة الجسد والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية" (من طقس المعمودية).

ونفس هذا الاعتراف هو الذى كان يحرص عليه أى شهيد أو معترف أن يجاهر به قبل تقدمه للعذاب والألم.. وربما لهذا السبب مازلنا إلى يومنا هذا نكرر "أعترف إلى النفس الأخير..".

ثانياً.. الاعتراف بفضل الله.

تأتى كلمة اعتراف أحياناً بمعنى التقدير والإكرام والتمجيد والتسبيح والشكر لله على كل إحساناته..

+ "وَتَأْتِي إِلَى الْكَاهِنِ الَّذِي يَكُونُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَقَوْلُ لَهُ: أَعْتَرَفُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ أَنِّي قَدْ دَخَلْتُ الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لِآبَائِنَا أَنْ يُعْطِيَنَا إِيَّاهَا" (تث ٢٦ : ٣).

+ "اعترفوا للرب لانه صالح لان الى الابد رحمته" (دا ٣ : ٨٩).

وفى صلاة الساعة التاسعة..

+ "إفرحوا أيها الصديقون بالرب، وإعترفوا لذكر قدسه" (مز ٩٦ بالأجبية)
 + "عظيم هو الرب فى صهيون، ومُتعال على كل الشعوب، فليعترفوا لإسمه العظيم، لأنه مرهوب وقدس" (مز ٩٨ بالأجبية)
 + "ادخلوا أبوابه بالإعتراف، ودياره بالتسبيح، إعترفوا له، وباركوا اسمه، فإن الرب صالح هو، وإلى الأبد رحمته" (مز ٩٩ بالأجبية)
 + "أعترف لك يا رب من كل قلبى، فى مجلس المستقيمين وفى مجمعهم" (مز ١١٠ بالأجبية)

وهذا الاعتراف بفضل الله.. هو خطوة تالية للاعتراف بالإيمان، لأنى إذ أوُمن بحبة الله وتجسده وفدائه وعنايته.. أعترف له بالفضل والتقدير والشكر والعرفان.. فتصير فضيلة الشكر بنت الإيمان المستقيم "آمَنْتُ لِذَلِكَ تَكَلَّمْتُ. أَنَا تَذَلَّتُ جَدًّا. أَنَا قُلْتُ فِي حَيْرَتِي: كُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبٌ. مَاذَا أَرَدُ لِلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي؟" (مز ١١٦ : ١٠ - ١٢).

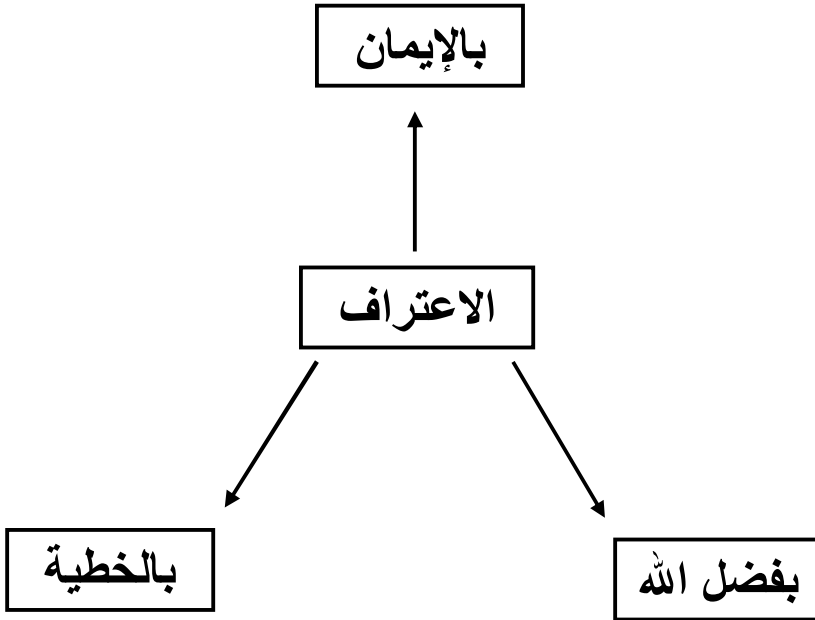
والاعتراف بهذا المعنى هو ما نصلي به يومياً فى صلاة الشكر "لأنك سترتنا وأعنتنا وحفظتنا وقبلتنا إليك، وأشفقت علينا وعضدتنا وأتيت بنا إلى هذه الساعة"
 + "أما سر الملك فخير ان يكتم و اما اعمال الله فاذاعتها و الاعتراف بها كرامة" (طوبيا ١٢ : ٧).

ثالثاً.. الاعتراف بالخطية.

هذا هو المعنى الثالث للاعتراف.. وهو أيضاً نتيجة طبيعية للاعتراف بالإيمان والاعتراف بفضل الله.. ونتيجة الصدق مع النفس. إن الإنسان يشعر بخطيته وتقصيره وتعدياته ويعترف بها أمام نفسه وأمام الله وأمام الناس أحياناً.. وأمام الكنيسة والكاهن.. مثلما قيل فى سفر يشوع..

"فَقَالَ يَشُوعُ لِعَخَانِ: يَا ابْنِي، أُعْطِ الْآنَ مَجْداً لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ (الاعتراف بفضل الله)، وَأَعْتَرَفْ لَهُ وَأَخْبِرْنِي الْآنَ مَاذَا عَمِلْتَ. لَا تُخَفِ عَنِّي (الاعتراف بالخطية)" (يش ٧ : ١٩).

وبالتالى هذا الثلاثى المتكامل.. من الاعتراف بالإيمان والاعتراف بفضل الله والاعتراف بالخطية... يمثل أعمدة الحياة الروحية.. فالفديس الحقيقى هو مَنْ كان إيمانه مستقيماً ويعيش شاكراً مسبحاً كل حين.. ويشغله عمل التوبة حتى النفس الأخير.



الباب الثانى



التوبة والاعتراف

يُقال خطأ.. سر الاعتراف دون التوبة عن التوبة.. بينما حقيقة السر هي في سر التوبة الذى يكتمل بالاعتراف على يد الكاهن. والتوبة ببساطة هي حياة المسيحى فينا.. هي رسالة الإنجيل.. هي دعوة الخلاص.. هي الرجوع إلى حضن الأب السماوى.. هي اكتشاف محبة الله.. هي الخضوع لوصية المسيح.. هي حرفة القديسين إذ يتطلعون دائماً أن يصيروا شبه المسيح فلا يكفوا عن التوبة طوال حياتهم. وهي التغيير المستمر "من مجد إلى مجد" (٢كو ٣ : ١٨) بعمل الروح القدس.

والتوبة والاعتراف يتلازمان لأن التوبة تبدأ..

- بالاعتراف أمام النفس.
- بالاعتراف أمام الله.
- بالاعتراف أمام الناس.
- بالاعتراف أمام الكاهن.

أولاً.. الاعتراف أمام النفس.

تتبع التوبة الصادقة من عبارة "فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ" (لو ١٥ : ١٧)، وتبدأ دائماً بوصية "جَرَّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الْإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْفُسَكُمْ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ، إِنْ لَمْ تَكُونُوا مَرْفُوضِينَ؟" (٢كو ١٣ : ٥)، فإن لم يعترف الإنسان أمام ضميره إنه مخطئ في حق الله والناس والكنيسة.. لا يكون لاعترافه أى قيمة تُذكر.

فقد يعترف إنسان بخطيته جهراً ولكن لا يشعر بثقلها أو الندم عليها كما فعل شاول الملك أمام صموئيل النبی "فَقَالَ شَاوُلُ لِمَصْمُوتِيلَ: أَخْطَأْتُ لِأَنِّي تَعَدَّيْتُ قَوْلَ الرَّبِّ وَكَلَامَكَ، لِأَنِّي خِفْتُ مِنَ الشَّعْبِ وَسَمِعْتُ لِمَصَوْتِهِمْ.....فَقَالَ: قَدْ أَخْطَأْتُ. وَالْآنَ فَأَكْرَمْنِي أَمَامَ شُيُوخِ شَعْبِي وَأَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَارْجِعْ مَعِيَ فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ" (١صم ١٥ : ٢٤ - ٣٠)

ولكن توبته لم تكن صادقة واعترافه ظاهرياً فقط.. وكل ما كان يعنيه كرامته أمام الناس.. وتلمّسه الأعداء والحجج في اعترافه.. لذلك نسمع صوت الله يقول.. "فَقَالَ الرَّبُّ لِمَصْمُونِيلَ: «حَتَّى مَتَى تَتَّوَحُّ عَلَى شَاوُلَ، وَأَنَا قَدْ رَفَضْتُهُ عَنْ أَنْ يَمْلِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ؟" (١ صم ١٦ : ١).

الاعتراف أمام النفس هو بداية التوبة والتغيير.. ويحتاج لفحص مستمر في ضوء وصايا الإنجيل.. لنلا يخدع الإنسان نفسه ويظن أنه كامل.. "لأنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةٌ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَغُرْيَانٌ" (رؤ ٣ : ١٧).

ثانياً.. الاعتراف أمام الله.

ليست هناك توبة بدون صلاة.. والصلاة هي عمل التوبة المستمر وتعبيرها الصادق.. فالتائب لا يكف عن طلب الغفران والتغيير.. بقوله "يا رب سامحني.. يا رب توبني.. يا رب غيرني" بها يمسح رصيد الخطايا من الماضي ويطلب حياة جديدة بمعونة الله للمستقبل.. خالية من الخطية، ومشتاقاً إلى النقاوة.

عندما وبَّخ ناثان النبي داود على خطاياہ الكثيرة.. إترف أمامه بالخطأ.. ولكنه لم يكف عن الصلاة بدموع "إِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي. لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيٍّ وَخَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِماً. إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قَدَامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ وَتَرْكَوَ فِي قَضَائِكَ" (مز ٥١ : ١ - ٤)

قال القديس مرقس الناسك..

"إن أردت أن تقدم اعتراف لله بلا لوم.. لا تتذكّر خطاياك السابقة في تفاصيلها بل بشجاعة تذكر مرارة نتائجها".

ثالثاً.. الاعتراف أمام الناس.

هناك خطايا تُعثر الآخرين أو تجرحهم أو تتسبب في أذى لهم.. روحياً أو نفسياً أو جسدياً.. فمع الاعتراف أمام النفس وأمام الله لا بد أن يكون هناك اعتراف أمام بعض الناس الذين أخطأنا في حقهم، مثل قول المسيح..
"فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ. فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ فَدَامَ الْمَذْبَحُ وَادْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" (مت ٥ : ٢٣ - ٢٤)

مثلاً فعل داود النبي مع أبنائار الكاهن..

الشاب الذي تسبب داود بكذبه في قتل كل عائلته من الأنبياء.. وقال له
"فَقَالَ دَاوُدُ لِأَبْنَاءَارَ: عَلِمْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ كَانَ دُوَاعُ الْأُدُومِيِّ هُنَاكَ أَنَّهُ يُخْبِرُ سَاوُلَ أَنَا سَبَبْتُ لَجَمِيعِ أَنْفُسِ بَيْتِ أَبِيكَ. أَقِمْ مَعِيَ. لَا تَخَفْ، لِأَنَّ الَّذِي يَطْلُبُ نَفْسِي يَطْلُبُ نَفْسَكَ، وَلَكِنَّكَ عِنْدِي مَحْفُوظٌ" (١ صم ٢٢ : ٢٢ - ٢٣).

وليس من الحكمة أن نكشف كل أسرار قلوبنا أمام الناس لئلا يُعثروا فينا بالأكثر.. فقد لا يحتمل الناس أن يعرفوا ما في داخلنا من فساد.. وقد لا نحتمل نحن أن نكشف للجميع عما في داخلنا، ولكن ليس أقل من أن نعتذر للذين أخطأنا في حقهم بشكل واضح صريح كمثّل اعتذار الزوج لزوجته والأب لأولاده والصديق لصديقه والخدم لمخدوميهم. وإن كان هناك مجالاً لتصحيح بعض الأخطاء مثل رد المسروق، فلا بد من تصحيحها قبل نوال المغفرة.

رابعاً.. الاعتراف أمام الكاهن.

هنا تكمل التوبة بالاعتراف أمام وكيل أسرار الله.. **"فَلْيَحْسِبْنَا الْإِنْسَانُ كَخَدَّامِ الْمَسِيحِ وَوُكَلَاءِ سَرَائِرِ اللَّهِ. ثُمَّ يُسْأَلُ فِي الْوُكَلَاءِ لِكَيْ يُوجَدَ الْإِنْسَانُ أَمِينًا"** (١ كو ٤ : ١ - ٢).

بعد مصارحة النفس وبعد صلاة حارة وبعد إعتذار صادق.. يأتى الاعتراف أمام الكاهن ليرفع الخطية ويضعها على رأس المسيح الذبيح "لَكِنْ أَحْزَانُنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعُنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولًا، وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ وَبَحْبُرُهُ شَفِيئًا" (اش ٥٣ : ٤ - ٥)

ولا يستفيد الإنسان من سر الاعتراف إن لم يكن أميناً ومجتهداً فى الخطوات الأولى اللازمة للتوبة وهى.. حساب النفس والصلاة الحارة ومصالحة الناس وترك الخطية ومسبباتها والخضوع للكنيسة والجهاد الروحى.

قال القديس يوحنا الدرجى..

"اعترف من أجل سلامتك واقطع أهوية قلبك.. فالمعترف فى الأكثر يستريح من القتال.. وبغير اعتراف وطاعة لا يخلص الخطاة"

وقال أنبا باسيليوس..

"جيد ألا تخطئ

← وإن أخطأت فجيد ألا تؤخر التوبة..

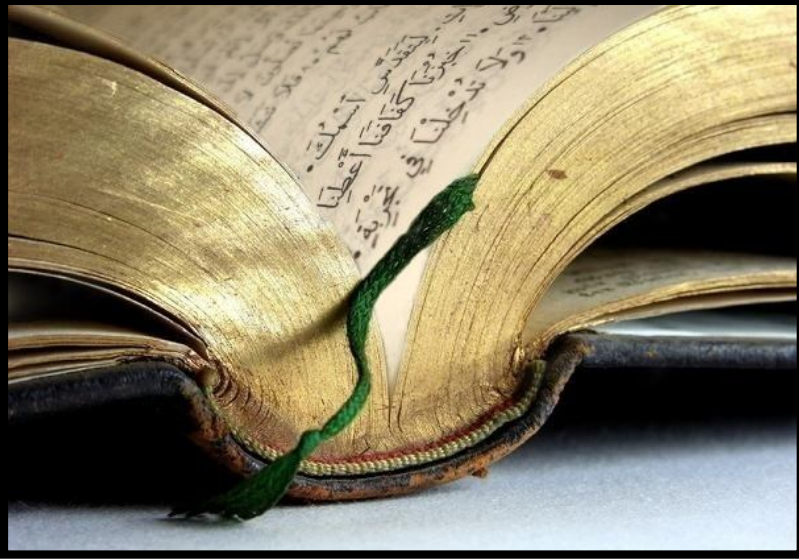
← وإن تبت فجيد ألا تعاود الخطية..

← وإن لم تعاودها فجيد أن تعرف إن ذلك بمعونة الله..

← وإن عرفت ذلك فجيد أن تشكره على نعمته وتلازم السؤال فى

طلب معونته".

الباب الثالث



شواهد من الكتاب
المقدس على حقيقة
سر الاعتراف

أولاً.. من العهد القديم.

وضع الله فى الكنيسة منذ العهد القديم نظام الكهنوت كوكالة (توكيل) عن الله.. وأعطى الكهنة سلطان التكفير ومغفرة الخطايا للتائبين.

- فنقرأ فى الشريعة "وَقَرَّبْ إِلَيْكَ هَارُونَ أَخَاكَ وَبَنِيهِ مَعَهُ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَكُونُوا لِي. هَارُونَ نَادَابَ وَأَبِيَهُوَّ أَلْعَازَارَ وَإِيثَامَارَ بَنِي هَارُونَ" (خر ٢٨ : ١)
- ونقرأ عن موسى.. ككاهن.. قوله للشعب "أَنْتُمْ قَدْ أَخْطَأْتُمْ خَطِيئَةً عَظِيمَةً. فَاصْعُدُ الْآنَ إِلَى الرَّبِّ لَعَلِّي أَكْفِّرُ خَطِيئَتَكُمْ" (خر ٣٢ : ٣٠)

وتعبير "لَعَلِّي أَكْفِّرُ خَطِيئَتَكُمْ" لا يعنى أن موسى يقدم نفسه ذبيحة كفارة عن خطايا الشعب لأنه عبد خاطئ مثل غيره، ولكنه ككاهن يشفع فى الشعب للتكفير عن خطاياهم.. وهذا هو دور الكهنوت دائماً.. وأيضاً فى (لا ٤ : ٢٠)، (لا ٤ : ٢٦)، (لا ٤ : ٣١)، (لا ٤ : ٣٥) يتكرر نفس المعنى.. "يُكْفِّرُ عَنْهُمْ الْكَاهِنُ فَيُصَفِّحُ عَنْهُمْ".

ونلاحظ هنا أنه قبل أن يقوم الكاهن بدوره.. لابد من إقرار الخاطئ بخطيئته.. إما بتوبيخ الكاهن له "ثُمَّ أَعْلِمَ بِخَطِيئَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا يَأْتِي بِقُرْبَانِهِ عِزْراً مِنَ الْمَعْزِ أَتْنَى صَاحِيحَةٍ عَنْ خَطِيئَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ" (لا ٤ : ٢٨).. أو باعترافه وإقراره بذنبه "فَإِنْ كَانَ يُذْنِبُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ يُقَرِّ بِمَا قَدْ أَخْطَأَ بِهِ" (لا ٥ : ٥).

وحين قدّم الشعب وقت نحميا توبة صادقة عن الارتباط بالوثنيات.. كملت توبتهم باعترافهم العلنى وتركهم للخطية.. "انْفَصَلَ نَسْلُ إِسْرَائِيلَ مِنْ جَمِيعِ بَنِي الْغُرَبَاءِ وَوَقَفُوا وَاعْتَرَفُوا بِخَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِ آبَائِهِمْ" (نح ٩ : ٢).

وكما نسب الوحي الإلهي فعل التكفير للكهان.. نسب فعل الغفران أيضاً للكهان.. فنقرأ فى سفر صموئيل الأول قول شاول لأبيه الروحي "وَالْآنَ فَاغْفِرْ خَطِيئَتِي وَارْجِعْ مَعِيَ فَأَسْجُدْ لِلرَّبِّ" (اصم ١٥ : ٢٥)

ومرة أخرى نتذكر أن الكهنة أنفسهم لابد لهم من الاعتراف بخطاياهم.. لأنهم ليسوا كاملين.. ففى شريعة يوم الكفارة نقرأ.. "وَيُقَرَّبُ هَارُونُ تَوَرَّ الْخَطِيئَةِ الَّتِي لَهُ وَيَكْفِّرُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَيْتِهِ" (لا ١٦ : ٦).

وإرتباط الإقرار (الاعتراف) بالكفارة بالدم.. صريح وواضح فى.. "لأنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ فَأَنَا أُعْطِيتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نَفْسِكُمْ لَأَنَّ الدَّمَ يَكْفِّرُ عَنِ النَّفْسِ" (لا ١٧ : ١١)، هذا أساس سر الاعتراف وحل الغفران فى العهد القديم.. وإشارة إلى الإيمان بدم المسيح الفادى وعمله الخلاصى لكل المؤمنين التائبين المعترفين بخطاياهم.

وما حدث مع داود النبی يؤكد دور الكاهن "كأب اعتراف" بقول ناثنان النبی والكاهن "الرَّبُّ أَيْضاً قَدْ ثَقَلَ عَنْكَ خَطِيئَتُكَ. لَا تَمُوتْ" (صم ١٢ : ١٣). ومرة أخرى حين أخطأ داود.. أمام جاد النبی.. صرخ لله تائباً "وَضَرَبَ دَاوُدُ قَلْبَهُ بَعْدَ مَا عَدَّ الشَّعْبَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ: لَقَدْ أَخْطَأْتُ جِداً فِي مَا فَعَلْتُ، وَالْآنَ يَا رَبِّ أَزِلْ إِنَّمَا عَبْدُكَ لِأَنِّي انْحَمَقْتُ جِداً. وَلَمَّا قَامَ دَاوُدُ صَبَاحاً كَانَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَى جَادِ النَّبِيِّ رَأَيْ دَاوُدَ. إِذْ هَبَّ وَقَالَ لِدَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ" (صم ٢٤ : ١٠ - ١٢).

أرسل الله جاد النبی بالتأديب قبل الغفران.. وهذه قيمة التلمذة على أب الاعتراف.. "فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ عِنْدَمَا رَأَى الْمَلَائِكَةَ الضَّارِبَةَ الشَّعْبَ: هَا أَنَا أَخْطَأْتُ وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي. فَجَاءَ جَادُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: اصْعَدْ وَأَقِمِ لِلرَّبِّ مَذْبَحاً فِي بَيْدَرِ أَرُونَةَ الِيبُوسِيِّ" (صم ٢٤ - ١٧ - ١٨)

مرة أخرى نسمع نحميا يعترف بخطايا الشعب جهراً فى صلاته "لِتَكُنْ أَدْنَاكَ مُصْغِيَةً وَعَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ لِتَسْمَعَ صَلَاةَ عَبْدِكَ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْكَ الْآنَ

نَهَاراً وَلَيْلاً لِأَجْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِبِيدِكَ وَيَعْتَرِفُ بِخَطَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَخْطَأْنَا بِهَا إِلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا وَبَيْتُ أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا" (نح ١ : ٦).

وأيضاً عزرا في توبته "فَلَمَّا صَلَّى عَزْرَا وَاعْتَرَفَ وَهُوَ بَاكٍ وَسَاقِطٌ أَمَامَ بَيْتِ اللَّهِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ إِسْرَائِيلَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ لِأَنَّ الشَّعْبَ بَكَى بُكَاءً عَظِيماً" (عز ١٠ : ١).

وأخيراً نتأمل قول الوحي الإلهي..

+ "مَنْ يَكُنْكُمْ خَطَايَاهُ لَا يَجُحَّ وَمَنْ يُقَرُّ بِهَا وَيَثْرُكُهَا يُرْحَمُ" (ام ٢٨ : ١٣).
+ "لا تستحي ان تعترف بخطاياك و لا تغالب مجرى النهر" (سيراخ ٤ : ٣١).

ثانياً.. من العهد الجديد.

فى الكنيسة الأولى.. "كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقَرَّرِينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ" (أع ١٩ : ١٨).

• موقف حنانيا وسفيرة. (أع ٥)

نلاحظ عدم الصدق مع أب الاعتراف.. وما إنتهى إليه من هلاك.. لأنه إذ حاول بطرس الرسول كوكيل الله أن يقودهم إلى التوبة والإقرار بالخطية.. أنكروا وتمسكوا بالكذب.. فقال كلمته بسلطان "أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بَاعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بِأَلَاكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الْأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ. فَلَمَّا سَمِعَ حَنَانِيَا هَذَا الْكَلَامَ وَقَعَ وَمَاتَ. وَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ" (أع ٥ : ٤ - ٥).

• توبة شاول الطرسوسى. (أع ٩)

نلاحظ أن ربنا يسوع - له المجد - بعد ظهوره لشاول بنفسه.. أوصاه بدخول دمشق وانتظار وكيل الله "حنانيا" (أسقف دمشق فى سنكسار يوم ٢٧

بؤونة) ليأتى إليه ليكمل توبته ويثبت إيمانه ويُعطيه سر المعمودية ويكمل تلمذته.. "فَمَضَى حَنَانِيَا وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَوَضَعَ عَلَيْهِ يَدَيْهِ وَقَالَ: أَيُّهَا الْأَخُ شَاوُلُ قَدْ أُرْسَلَنِي الرَّبُّ يَسُوعُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ لَكِي تُبْصِرَ وَتَمْتَلِي مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَلِلْوَقْتِ وَقَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ قَشُورٌ فَأَبْصَرَ فِي الْحَالِ وَقَامَ وَاعْتَمَدَ. وَتَنَاوَلَ طَعَامًا فَتَقَوَّى. وَكَانَ شَاوُلُ مَعَ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ أَيَّامًا" (أع ٩ : ١٧ - ١٩).

• مع سيمون الساحر. (أع ٨)

نلاحظ هنا موقف بطرس الرسول الحازم بسبب عدم أمانة سيمون الساحر وكيف أمسك عليه خطيئة "فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: لِنَكُنْ فِضْتُكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ مَوْهَبَةَ اللَّهِ بِدَرَاهِمٍ. لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلَا قِرْعَةٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ لِأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ اللَّهِ. فُتِبْ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللَّهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ. لِأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمَرْ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ" (أع ٨ : ٢٠ - ٢٣).

وهكذا نفهم معنى كلمة المسيح لرسله وكهنته "مَنْ عَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أَمْسِكْتَ" (يو ٢٠ : ٢٣).

وهذا يعود بنا إلى الأناجيل.. وحياة المسيح.

• لقاء السامرية. (يو ٤)

لماذا سأل المسيح السامرية عن زوجها؟!.. أليس لكى تفتح قلبها ولكى يساعدها على الاعتراف بخطيتها.. وبسبب خجلها سهّل عليها الطريق بقوله "حَسَنًا قُلْتَ لَيْسَ لِي زَوْجٌ. لِأَنَّهُ كَانَ لِكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ وَالَّذِي لِكَ الْآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجُكَ. هَذَا قُلْتَ بِالصِّدْقِ" (يو ٤ : ١٧ - ١٨).. واكتفى بإقرارها

"يَا سَيِّدُ أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!" (يو ٤ : ١٩). إذ كان يجب أن تعترف أمامه بماضيها لتكمل توبتها وتستحق الغفران.

وبعد هذا الإقرار والاعتراف.. إنطلقت في حرية جديدة تسأل عن السجود بالروح، وإنطلقت بقوة جديدة تاركة جرة الماء لتبشر بالمسيح قابل التائبين وغافر الخطايا.

• الإبن الضال. (لو ١٥)

+ "فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلُكَ جُوعًا!" (لو ١٥ : ١٧).

+ "أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّمَكَ. وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أَدْعَى لَكَ ابْنًا. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَأَاهُ أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ" (لو ١٥ : ١٨ - ٢٠).

+ "فَقَالَ لَهُ الْإِبْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّمَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أَدْعَى لَكَ ابْنًا" (لو ١٥ : ٢١).

اعتراف الإبن أمام أبيه وأمام الخدم الحاضرين وذكر كلمة السماء (الكنيسة).. تؤكد ضرورة الإقرار أمام النفس وأمام الله وأمام أبيه الكاهن وأمه الكنيسة.. لتكمل أفراح التوبة ويدخل الإنسان إلى نعمة الأسرار المحيية.

• المرأة الخاطئة. (لو ٧)

لماذا بكيت أمام الجميع؟!.. لماذا لم تنتظر المسيح وحده؟!.. في توبتها الصادقة.. إحتملت المرأة نظرات الكثيرين وتهكماتهم.. لكن لم يكن يعنينا إلا الغفران.. ونزلت دموعها معترفة بآثامها.. فقد يعجز الإنسان عن الكلام ويعبّر بالدموع والتهنيدات.. لأن الاعتراف الحقيقي هو حب صادق وعدم خجل من التوبة وإنما خجل من الخطية.

"قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا.
ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ" (لو ٧ : ٤٧ - ٤٨).

• زكا العشار. (لو ١٩)

حين دخل ربنا يسوع المسيح - له المجد - بيت زكا، اعترف زكا أمام الجميع - ضمنياً - بماضيه.. "هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِيَ نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" (لو ١٩ : ٨).. ولم يخجل زكا أن يكشف ماضيه وأن يُقر بخطيته وأن يُعلن بداية حياته الجديدة أمام التلاميذ والحاضرين.. فسمع من فم المخلص "الْيَوْمَ حَصَلَ خَلَاصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ إِذْ هُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ" (لو ١٩ : ٩).

• بطرس الرسول. (لو ٥)

"اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ لِأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ" (لو ٥ : ٨).
كانت بداية تبعية بطرس للمسيح.. بعد معجزات صيد السمك الكثير كان لابد له أن يعترف أولاً إنه رجل خاطئ لكي تبدأ المسيرة.. ولم تتوقف مسيرة التوبة - السقوط والقيام - ولم تتوقف اعترافاته بأشكال كثيرة:
"قَالَ لَهُ تَالِثَةً: يَا سَمْعَانَ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي؟ فَحَزَنَ بَطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ تَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أَحِبُّكَ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: ارْعَ غَنَمِي" (يو ٢١ : ١٧).

• سلطان الحل والربط.

+ "مَنْ غُفِرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتُمْ" (يو ٢٠ : ٢٣).
لاحظ.. الفعل (غفرتكم.. تُغفر).. إنه ينسب المغفرة للتلاميذ ومن بعدهم من الكهنة.. بسلطان إلهي، أما عن هذا الإمساك.. فيُقصد به لغير التائبين.

+ "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيضاً: أَنْتَ بَطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ فَكُلُّ مَا تَرَبِّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ. حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلَامِيذَهُ أَنْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (مت ١٦ : ١٨ - ٢٠).

نلاحظ ارتباط سلطان الحِل والربط بسلامة الإيمان الأرثوذكسي (الصخرة).. ونلاحظ إنه فى آيات أخرى ما قيل لبطرس قيل لبقية التلاميذ، ليعلموا كلهم عظمة السر الذى يملكونه والسلطان الذى أخذوه.

+ "وَأِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَتْنِيِّ وَالْعَشَّارِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرَبِّطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ وَكُلُّ مَا تَحُلُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ" (مت ١٨ : ١٧ - ١٨).

هنا نلاحظ أنه بدأ بذكر "الربط" قبل ذكر "الحل" لأن السيد المسيح هنا كان يتكلم عن يرفض الصلح والسلام، فبعد محاولات كثيرة من العتاب والمصالحة بواسطة الكاهن، وإستمرار رفض الشخص وعنده.. تربطه الكنيسة وتمنعه من التمتع بأسرارها بسبب عدم التوبة.

١ - فى رسائل معلمنا بولس الرسول.

"لَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رَبَّوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ لَكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ. لِأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالْإِنْجِيلِ" (١ كو ٤ : ١٥). من الواضح أن معلمنا بولس يعتبر نفسه أباً لهم وليس مرشداً فقط، ولم يكسر بهذا وصية المسيح "لَا تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٢٣ : ٩)

إنما هو يفهم جيداً الفرق بين أبوة الله التى لا بديل لها، وأبوة الكاهن كوكيل الله التى يحتاجها كل أولاد الله.

قصة خاطئ كورنثوس.. فى الرسالة الأولى (١كو ٥).. حكم بولس الرسول بسلطانه الكهنوتى بربط هذا الخاطئ وعزله عن شركة الكنيسة بتعبيرات واضحة شديدة (١ كو ٣، ٤، ٥).. بسبب وقوعه فى خطية صعبة هى الزنا بالمحارم، وعلل سر هذا الإمساك والربط بقوله "إِذَا تَقُّوْا مِنْكُمْ الْحَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فُطِيرٌ. لِأَنَّ فَصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحُ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا" (١كو ٥ : ٧)، "أَمَّا الَّذِينَ مِنْ خَارِجٍ فَاللَّهُ يَدِينُهُمْ. فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ" (١كو ٥ : ١٣).

ولكن فى الرسالة الثانية بعد شهور من الأولى، إذ سمع بتوبته وصدقه وحزنه بحسب مشيئة الله، كتب لهم "مِثْلُ هَذَا يَكْفِيهِ هَذَا الْقِصَاصُ الَّذِي مِنَ الْأَكْثَرِينَ، حَتَّى تَكُونُوا - بِالْعَكْسِ - تُسَامِحُونَهُ بِالْحَرِيِّ وَتَعَزُّوْنَهُ، لِئَلَّا يَبْتَغِ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْحُزْنِ الْمُفْرِطِ. لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ تُمَكِّنُوا لَهُ الْمَحَبَّةَ.....وَالَّذِي تُسَامِحُونَهُ بِشَيْءٍ فَأَنَا أَيْضًا. لِأَنِّي أَنَا مَا سَامَحْتُ بِهِ - إِنْ كُنْتُ قَدْ سَامَحْتُ بِشَيْءٍ - فَمِنْ أَجْلِكُمْ بِحَضْرَةِ الْمَسِيحِ، لِئَلَّا يَطْمَعَ فِيْنَا الشَّيْطَانُ، لِأَنَّنَا لَا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ" (٢كو ٦ : ١١).

هنا تظهر كل أدوار أب الاعتراف.. فى التأديب والإرشاد والمتابعة، والتحذير والتوبيخ، والتشجيع والقبول والاحتواء، والغفران وربح النفوس.

٢ - رسالة يعقوب.

"اعْتَرَفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَّاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا. طَلِبَةُ الْبَارِ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا" (يع ٥ : ١٦).

وهنا نلاحظ أن التوبة والاعتراف مع الصلاة هما شرطان لسر مسحة المرضى.. الذى فيه يصلى الكاهن ليس فقط لنوال الشفاء الجسدى.. بل

بالأولى الشفاء الروحي.. بالتوبة والغفران.. وهذا السر بدأ من حياة التلاميذ مع السيد المسيح "وَأَخْرَجُوا شَيَاطِينَ كَثِيرَةً وَدَهَنُوا بَزَيْتٍ مَرَضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ" (مر ٦ : ١٣).

كما نلاحظ إن البداية كانت "فَلِيدْعُ شُيُوحَ الْكَنِيسَةِ" (يع ٥ : ١٤)، إذاً هناك قسوس أو كهنة يصلون عليه بإسم الرب.. ثم يعترف المرضى على الكهنة "بعضكم لبعض".. ثم يدهنوه بزيت مسحة المرضى.. ويصلى الكهنة للمرضى "بعضكم لأجل بعض".. لكى يؤكد معلمنا يعقوب إن الله إستودع كنيسته عطاياه وسلطانه.. كما كان المسيح يشفى ويصلى ويغفر.. يظل كهنته يتممون قصده ويقدمون الشفاء والصلاة والغفران لكل مَنْ يطلب بإيمان وتوبة صادقة، ويكمل وعده القائل "صَلَاةُ الْإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يَقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيئَةً تُغْفَرُ لَهُ" (يع ٥ : ١٥).

٣ - رسالة بطرس.

"كَذَلِكَ أَيُّهَا الْأَحْدَاثُ اخْضَعُوا لِلشُّيُوحِ، وَكُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ، وَتَسَرَّبِلُوا بِالتَّوَاضُّعِ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (١ بط ٥ : ٥).

هؤلاء الشيوخ هم رجال الكهنوت.. الرعاة.. الذين قال لهم بطرس الرسول أولاً.. "أَطْلُبْ إِلَى الشُّيُوحِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخُ رَفِيقُهُمْ، وَالشَّاهِدَ لَأَلامِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ" (١ بط ٥ : ١).. فهو يخاطب الأساقفة والكهنة. هنا تظهر التلمذة من الشباب للآباء الكهنة.. وهذا يحتاج بالضرورة إلى روح التواضع والخضوع.. بقوله "كُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ، وَتَسَرَّبِلُوا بِالتَّوَاضُّعِ" (١ بط ٥ : ٥). ومَنْ يرفض هذا الخضوع والتلمذة.. ينطبق عليه قول القديس بطرس "لأن الله يقاوم المستكبرين".

٤ - رسائل يوحنا.

"أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلَادُ لِأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ الْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ" (١ يو ٢ : ١٢) .. ويكرر معلمنا يوحنا الحبيب مرات كثيرة قوله "يا أولادى، أيها الأولاد" ليؤكد أبوته للكنيسة ككاهن.. (١ يو ٢ : ١)، (١ يو ٢ : ١٣)، (١ يو ٢ : ١٨)، (١ يو ٢ : ٢٨)، (١ يو ٣ : ٧)، (١ يو ٣ : ١٨)، (١ يو ٣ : ٤) ..

كما يكتب أيضاً بوضوح..

"إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا. إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يو ١ : ٨ - ٩) ، "يَا أَوْلَادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِحَطَايَانَا. لَيْسَ لِحَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِحَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً" (١ يو ٢ : ١ - ٢) ..

نلاحظ ارتباط قول معلمنا يوحنا.. "إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا" (١ يو ١ : ٨) .. ولا يخفى علينا ارتباط هذا الكلام بما سبق.. "وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرَكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ" (١ يو ١ : ٧) .. كأن السلوك فى النور يُحْتَمِ عَلَيْنَا كَشْفَ خَطَايَانَا فِي النُّورِ وَالاعْتِرَافَ بِهَا جَهْرًا وَتَرْكَهَا لِنَوَالِ الْغُفْرَانِ. وَكَمَا يَعْلَمُنَا الْآبَاءُ أَنَّ كَشْفَ الْآبَاءِ أَنَّ كَشْفَ الْخَطَايَا يَضْعَفُ قُوَّتَهَا وَيَخْزِي إِبْلِيسَ عَدُونًا.

الباب الرابع



الاعتراف والأبوة

"أَعْطَيْكُمْ رُعَاةً حَسَبَ قَلْبِي فَيَرْغُوكُمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ" (ار ٣ : ١٥). من إحسانات الله علينا إنه ترك لنا رعاة حسب قلبه، يتشبهون به ويقدمون حبه لأولاده، وغفرانه للتائبين الراجعين إليه.

الكهنوت المسيحي هو إمتداد لعمل المسيح في كنيسته. فبعد صعوده إستمروا تلاميذه يقدمون عطاياه لأولاده: عطية الإيمان بالتعليم والتلمذة، وعطية الغفران بالتوبة والاعتراف، وعطية الميلاد الجديد بالمعمودية، وعطية الحضور الإلهي بالروح القدس، وعطية الجسد والدم بالإفخارستيا، وعطية الشفاء بالمعجزات والآيات. حقاً لقد استحقوا لقب الوكلاء كما سماهم المسيح "فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الْأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟" (لو ١٢ : ٤٢).

▪ من يقول اليوم لنازفة الدم المسكينة "ثَقِي يَا ابْنَةُ. إِيْمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ."

إِذْهَبِي بِسَلَامٍ" (لو ٨ : ٤٨)؟؟؟

▪ ومن يقول اليوم مثل المسيح.. "طَلَبْنَا قَوْمِي" (مر ٥ : ٤١)؟؟؟

"فَأَخْرَجَ بُطْرُسُ الْجَمِيعَ خَارِجاً وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ثُمَّ انْتَفَتَحَ إِلَى الْجَسَدِ وَقَالَ: «يَا طَابِئًا قَوْمِي!» فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا. وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ جَلَسَتْ" (اع ٩ : ٤٠).

وهنا يظهر إمتداد عمل المسيح في حياة الكنيسة "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَأَلْعَمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَفْعَلُهَا هُوَ أَيْضاً وَيَعْمَلُ أَكْثَرَ مِنْهَا لِأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي" (يو ١٤ : ١٢).

فالكاهن هو الأب الذى ينقل أبوة الله لشعبه، وللخطاة التائبين بالأخص. من هو الكاهن الحقيقى إلا هذا الأب فى مثل الإبن الضال الذى يتشبه بالهه، فيركض إلى الإبن الراجع ويقع على عنقه ويقبله ويخرج له الكنوز: الحلة الأولى لاستعادة النقاة بالتعليم والتلمذة، والحذاء بكلمات الإنجيل

المشبعة، والخاتم بسلطان الروح القدس وحل الغفران، والعجل المسمن بذبيحة الإفخارستيا.

من يفتح الكنوز للتائب إلا أبوه الروحي الذي يفرح بتوبته مع كل الملائكة القديسين "إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرْحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ" (لو ١٥ : ٧).

يأتى المُعترف إلى الكاهن باحثاً عن حضن آمن.. يرتضى فيه هارباً من أحضان الخطية وبرائن الأسد وسموم الحية.. كطفل خائف يبحث عن أبيه.. ولا يرتاح إلا حين يجده.

والكاهن هو أب يعرف كيف يتحنن ويتراءف، ويعرف متى يؤدب ويوبخ، يعرف كيف يُعزى ويشجع، ويعرف أيضاً متى يُحذر وينهر.. وليس له إلا هدف واحد وحيد، هو هدف روح المسيح الذى فيه.. "الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ" (١ تي ٢ : ٤).

أب الاعتراف يتشبه بالراعى الصالح.. قائلًا "أَنَا أُرْعَى غَنَمِي وَأَرْبُضُهَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرُدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأَبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بَعْدَ" (حز ٣٤ : ١٥ - ١٦). لذلك يتفاعل مع كل ابن من أولاده إذ يشعر أنه "أحشاؤه" (فل ١ : ١٢)، فيئن مع المتألم والمجرب، ويفرح بنمو المجاهد بأمانة، ويسهر فى حراستهم بالصلاة عنهم لئلا يخطف الذنب منهم أحداً، ويقف أمام الله كمن يُوفى عنهم (فل ١ : ١٨ - ١٩). وتأكيدياً لاستمرار هذا الدور عبر الأجيال يكمل الوحي المقدس كلامه "وَأَقِيمُ عَلَيْهَا رَاعِيًا وَاحِدًا فَيَرْعَاهَا عَبْدِي دَاوُدُ" (إشارة إلى كهنوت العهد الجديد المستمد من المسيح نفسه) هُوَ يَرْعَاهَا وَهُوَ يَكُونُ لَهَا رَاعِيًا. وَأَنَا الرَّبُّ أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا، وَعَبْدِي دَاوُدُ رَئِيسًا فِي وَسْطِهِمْ. أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ" (حز ٣٤ : ٢٣ - ٢٤).

يقول القديس يوحنا الدرجي.. "لا تترك يديّ من أتى بك إلى الرب، ولا توقّر فى حياتك أحداً كنوقيرك له".

المعترف.. مثل بطرس التائب ينتظر بدموع حارة وبكاءاً مرّ.. أن يلتقى بأبيه الروحي (الكاهن الذى يتمتع بالقيامة القائم من الموت من خلال حياة التوبة المستمرة).. لعله يعزيه ويُسمِّعه أجمل كلمات "مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ" (لو ٧ : ٤٨).

المعترف.. مثل يوحنا الحبيب الذى يتكى على صدر أبيه بنقاوة وحب.. لينقل منه وعنه حب الله وحب الناس وحب السماء.. ويخرج ممثلي حياً كمعلمه.

المعترف.. مثل الإبن الضال الذى يشتاق بعد تمرد وجحود إلى إبتسامة أبيه الروحي وكلماته المعزيه وبيته النقى.. ليرتمى عنده باكياً متعباً بعد عناء الغربة وذل الخطية.

المعترف.. مثل تيموثاوس الذى يشتاق دائماً أن يكون الإبن الصريح فى الإيمان.. ليريح أحشاء أبيه فى الرب.

المعترف.. مثل أنسيمس العبد الهارب التائب الذى يظل يفتخر إن أباه الروحي (بولس الرسول) قد لقبه بـ: "إبنى.. أحشائى.. أخاً محبوباً.. نظيرى" (رسالة فلاديمون).

وأخيراً فإن المعترف.. إن كان يخضع لأبيه الجسدى عن حب أو حتى عن قهر.. إلا أنه يخضع لأبيه الروحي بفرح وحب وبإيمان وبرجاء.

"إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللَّهُ كَالْبَنِينَ. فَإِنَّ ابْنَ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلَا تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نَعُولٌ لَا بَنُونَ. ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلَا نَخْضَعُ بِالْأَوَّلَى جِدّاً لِأَبِي الْأَرْوَاحِ، فَتُحْيَا؟. لِأَنَّ أَوْلَئِكَ أَدَبُونَا أَيَّاماً قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلْأَجَلِ الْمُنْقَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قِدَاسَتِهِ" (عب ١٢ : ٧ - ١٠).

قال أنبا دانيال.. "استدعانى مرة أنبا أرسانيوس وقال لى.. "كن فى صلح مع أبيك الروحي حتى عندما يذهب إلى سيدنا (المسيح له المجد).. يشفع أمامه فيك ويكون لك خير".

الباب الخامس



الاعتراف والتواضع

أكبر مُعطلّ لسر التوبة والاعتراف هو كبرياء الإنسان، فالكبرياء إما تمنع الإنسان من الاعتراف بخطئه أمام نفسه.. وإن لم تقدر، تمنعه من صلاة التوبة والاعتراف أمام الله.. وإن لم تقدر، تمنعه من الاعتذار للناس.. وأخيراً تمنع الكبرياء الإنسان من الاعتراف بالخطية أمام الكاهن.

والكبرياء.. تأخذ أشكالاً كثيرة.. وتظهر بأفكار متنوعة.. فمنها أن يقول شيطان الكبرياء للنفس "وايه يعنى.. كل الناس بتعمل كده؟" أو يقول "ربنا عارف إني إنسان وهو خلق فيّ هذه الأمور.. أو ربنا جربني وجعلني أخطئ".. وهنا يرد عليه يعقوب الرسول "لَا يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أَجَرَبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، لَأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشَّرُّورِ وَهُوَ لَا يُجَرَّبُ أَحَدًا. وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبَلَتْ تَلِدُ خَطِيئَةً، وَالْخَطِيئَةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا" (يع ١ : ١٣ - ١٥).

وقد يقول شيطان الكبرياء.. (الله سيذكر لك فضائلك وأعمالك، ولا بد أن ينتاسي أخطائك وتقصيراتك لأن أعمالك عظيمة).. "لَأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعَرِيَانٌ" (رؤ ٣ : ١٧).

وقد يسلم شيطان الكبرياء فريسته لشيطان صِغَر النفس، فيسمع التائب صوتاً داخلياً يقول:

- ليس لك غفران "ذنبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ" (تك ٤ : ١٣) ..
- كيف فعلت هذا الشر العظيم..
- ماذا سيقول عنك أب اعترافك وهو يظنك إنساناً تقياً..
- لعله لن يسمح لك بالتناول أو الخدمة..
- ماذا لو كشف أب الاعتراف أخطائك للآخرين!..

وإذا لم يجد فريسته تسمع له.. يعود فيعطلها عن جلسة الاعتراف قائلاً..
(انتظر حتى تتوب وتحسن وتتقدم وتعود لأبيك الروحي بأخبار سارة)
وهو بهذا يعلم جيداً كيف يتمسك بفريسته بعيداً عن بركات السر والمعونة
الإلهية.

وقد يقول شيطان الكبرياء (كيف تعترف على إنسان هو أيضاً يخطئ؟
ولعله يخطئ أكثر منك).. أو يتفنن هذا الشيطان أن يظهر لك ضعفات أبيك
الروحي كي لا تذهب إليه ولا تثق فيه.

وإذا أصرَّ المعترف على الاعتراف.. لا يكف شيطان الكبرياء عن
مصارعته قائلاً: (أبونا لم يكن رقيقاً معك، كيف ينتهرك هكذا، إنه لا
يعرف ظروفك ولا يدرك جهادك، هل ينسى ما تدفعه في الكنيسة من
عطايا، كيف يطلب منك هذا التدريب الصعب!!)

حقاً إن الكبرياء أم الرذائل، تمنع الإنسان من ممارسة التوبة والفضيلة..
وإن بدأ فيها تمنعه من إكمالها، وإن جاهد فيها الإنسان تجعله ينحرف بعيداً
عن جوهرها وعمقها إلى شكلها ومظهرها فقط.

لهذا.. فإن التواضع يحرق الشيطان حقاً.. ويبطل كل مؤامراته وأفكاره،
فالتواضع يحب التوبة والاعتراف.. ويجد فيهما راحته وسلامه.. ولا
يأتمن نفسه على نفسه.. ولا يسمح لعقله بالشك في أبيه الروحي.. ولا يكتف
عليه سراً.. ويخضع لكل كلامه كخضوعه لكلمة الله بكل حرص وإجتهد.
والتوبة مدخل التواضع.. والتواضع يصون التوبة.

من أقوال يوحنا الدرجي..

■ "أولاً.. تطحن النفس بتعب التوبة الحقيقية مثل الدقيق، ثم يُعجن بماء
الدموع مثل العجين، ثم يخبز بنار الإلتضاع المُنعَم من الله مثل الخبز،
وحينئذ يكون الخلاص من الأوجاع (الخطايا)".

▪ "الطاعة قبر للمشينة وقيامة للاتضاع، فالميت لا يناقض ولا يباحث، لا فى الصالحات ولا فيما يحسب أنه من غير الصالحات.. لأن الذى سلّم إليه الإنسان روحه (أب الاعتراف) حبا لله، سوف يُجيب عنه بشأنها كلها".

وللأسف.. هناك تعاليم تبدو أنها مسيحية ولكنها تنفخ الإنسان وتبعده عن طريق التوبة والتواضع.. تعاليم تستخدم ألفاظاً روحية خالية من العمق.. كأن نسمع (كيف يتوب من خلص بدم المسيح سابقاً).. أو.. (كيف يعترف الإنسان بخطايا بعد أن غفرها المسيح بدمه)، وكثيراً ما جعلت هذه التعاليم نفوساً بسيطة تقع فى كبرياء وبر ذاتى مغلف بآيات وأفكار تخدع قلوب البسطاء "وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَاءَ بِمَكْرَها، هَكَذَا تُفْسِدُ أَذْهَانَكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ" (٢كو ١١ : ٣). وأصحاب هذه التعاليم ينسون ما قاله بولس الرسول "تَمَمُّوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ" (فى ٢ : ١٢).

قال مار أفرام السريانى..

"إذا جلست فى طاعة أب روحانى فلا تضع لك حداً. فتقول لا يمكننى أن أعمل هذا أو ذاك".
إذا.. المتواضع الحقيقى حياته وخلصه فى توبته وطاعته لأبيه الروحى.

ولكن.. كيف يصل الإنسان إلى التواضع؟

أولاً.. الشكر والاعتراف بفضل الله.

كلما أزداد الإنسان شكره لله.. كلما تذكر ضعفه وضآلته وغنى رحمة ربنا عليه.. وهذا يصل به إلى عمق الإحساس بنعمة الله "لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَنَا مَا

أَنَا وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاهُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً بَلْ أَنَا نَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلَكِنْ لَا أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي مَعِيَ" (١كو ١٥ : ١٠).

ولكن حتى الشكر - وحده - قد لا يكفي.. لأننا رأينا الفريسي المتكبر يشكر في صلاته ولكنه كان أبعد ما يكون عن التوبة والتواضع "اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِئِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ" (لو ١٨ : ١١).

ثانياً.. فحص النفس.

كلما تأمل الإنسان في ضعفه وخطايا.. كلما زاد اقتناعه بفساده وصغره واحتياجه.. وهذا أول طريق الإتضاع.. حتى أنه يصل إلى الإحساس بأنه آخر الكل وأحقر الكل.. وأقل من كل الخليقة.

ثالثاً.. التوبة المستمرة.

التوبة المستمرة في صلوات حارة تغسل القلب الحجر.. وتجعله قلباً لحمياً طرياً.. ومع سنوات من التوبة الصادقة والدموع السخية.. والاعتراف المنتظم.. يصل الإنسان إلى استقرار التواضع في القلب.

رابعاً.. الطاعة.

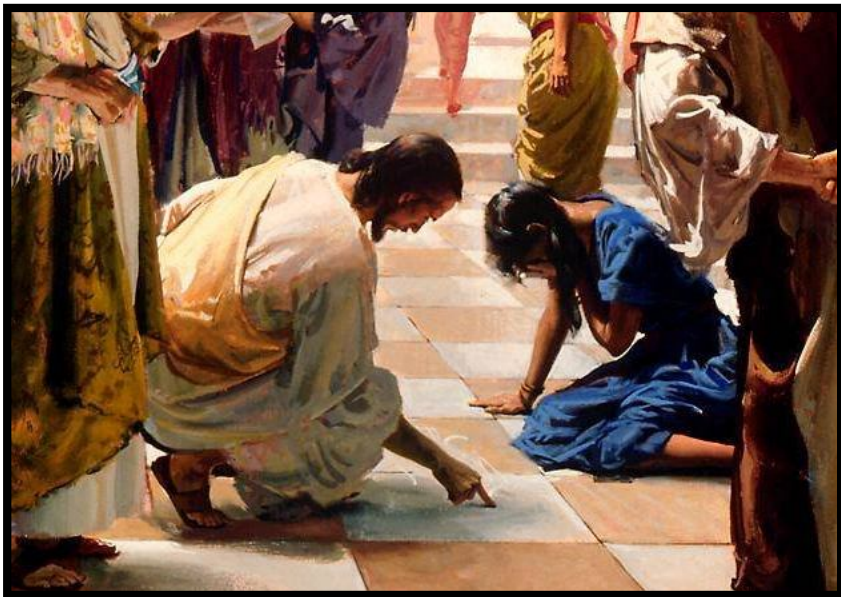
قال يوحنا الدرجي "إذبح الكبرياء بسكين الطاعة". فالخضوع والطاعة طريق للتواضع الحقيقي.. لأن فيه إخلاء المشيئة الذاتية والتنازل عن الرأي الشخصي في قيادة الحياة الروحية.. وإنكار الذات برغباتها وطموحاتها وإختياراتها.

خامساً.. التلمذة على المسيح.

"إَحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ (مت ١١ : ٢٩).. بالتركيز على حياة ربنا يسوع المسيح.. كلامه وأعماله وصفة التواضع الغالبة على كل حياته.. يكتسب الإنسان مثل هذا التواضع الداخلى وهذه الوداعة الحقيقية.. التى بهما يكمل طريق توبته للنهاية.

قال القديس الأنبا أنطونيوس.. "لا تكن قليل السمع (الطاعة) لئلا تكون وعاءاً لجميع الشرور.. ضع فى قلبك أن تسمع لأبيك فتحل بركة الله عليك".

الباب السادس



كيف أعترف؟

هناك عدة خطوات يحتاجها الإنسان لكي يتمتع بسر التوبة والاعتراف ويستفيد منه..

أولاً.. فحص النفس.

يحتاج الإنسان لمراجعة نفسه قبل الدخول لجلسة الاعتراف "جربوا أنفسكم، هل أنتم في الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا مرفوضين؟" (٢ كو ١٣ : ٥). وهذه المراجعة تعتمد على فكرتين:

- ١ - ما يجب أن أكون عليه.. "فرجع إلى نفسه وقال: كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز" (لو ١٥ : ١٧).
- ٢ - ما أنا عليه حقاً الآن.. "أنا أهلك جوعاً!" (لو ١٥ : ١٧).

"فرجع إلى نفسه وقال: كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً! أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي أخطأت إلى السماء وقدأماك وكسنت مستحقاً بعد أن ادعى لك ابناً. اجعلني كأحد أجراك" (لو ١٥ : ١٧ - ١٩).

ما يجب أن أكون عليه.. وهذا يظهر في حياة ربنا يسوع - له المجد - الذي يجب أن ننشبه به في كل شيء "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكاراً بين إخوة كثيرين" (رو ٨ : ٢٩).

من المفيد أن يراجع الإنسان نفسه على وصايا الكتاب المقدس مثل... "الموعظة على الجبل (مت ٥ ، ٦ ، ٧) و(يع ١ : ٥) و(رو ١٢ : ١٥) و(اتس ٥) و... وهذه تضع الإنسان أمام مرآة حقيقية يرى فيها عيوبه وضعفاته ونقائصه وتعدياته.

وما أنا عليه حقاً الآن.. تحتاج لمصارحة النفس..

- ١ - من جهة الأفكار والأعمال والأقوال والمشاعر والوعود لله والناس.

(خطايا اللسان.. خطايا العين.. خطايا الأذن.. خطايا الفكر.. خطايا القلب والمشاعر.. خطايا الجسد..).

٢ - من جهة الفضائل التي لم أستطع الإلتزام بها.. مثل الوداعة والمحبة والصبر والإلتضاع والهدوء والصلاة الدائمة والفرح والإيمان والتعفف.

٣ - ما وراء هذه الخطايا من خطايا دفينية.. وهذا يظهر عادةً بسؤال (لماذا؟).. لماذا أغضب كثيراً؟.. لماذا أقع فى إدانة الناس؟.. لماذا تشتد مخاوفى وأحزاني؟.

٤ - من جهة القانون الروحى والتداريب الروحية.. الإلتزام بصلاة الأجبية وعدد المزامير والميطانيات والقراءات فى الإنجيل والقراءات الروحية والخلو والقداس والتناول والصوم والعشور والخدمة وحضور الاجتماعات.....

ثانياً.. الصلاة.

يحتاج الإنسان قبل الدخول لحضرة المسيح فى وجود الكاهن أن يسجد أمام الله.. تائباً.. معترفاً بتعدياته وطالباً الغفران.. ومتعهداً بحياة أفضل.. وهذه الصلاة الحارة هى أساس العلاقة بالله من اعتراف إلى الاعتراف التالى.. فهى ليست مرة واحدة قبل جلسة الاعتراف ولكنها مستمرة صباحاً ومساءً وكل وقت.. هى علامة صدق التوبة.. وهى أيضاً ضمان استمرار التوبة ودوام النعمة والنصرة على الخطية.

ثالثاً.. الإعتذار للآخرين.

هناك بعض الخطايا يجب الرجوع فيها للمُخطأ فى حقهم قبل سر الاعتراف.. فمثلاً..

إذا سرق إنسان شيئاً.. لابد له أن يرجع ما سرقه، وإذا جرح إنسان آخر.. لابد أن يذهب ويعتذر له أولاً، وإذا خدع إنسان صاحبه.. الأفضل له أن

يذهب ويخبره بالحقيقة، وإذا تسبب في غضب إنسان أو أعثره.. الأفضل أن يداوى هذا الجرح معه مفسراً وموضحاً ومعتذراً ومحتماً النتائج "فإن قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ. فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ وَادْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" (مت ٥ : ٢٣ - ٢٤).

فالصالح والاعتذار ثمرة طبيعية للتوبة.. ولا تكتمل التوبة إلا بهما.

وهناك خطايا.. يمكننا إصلاح نتائجها.. وخطايا أخرى لا يمكن أن نصلح نتائجها بأنفسنا فنضيفها إلى دور الله في إصلاح ما خربناه بأيدينا.

رابعاً.. الأمانة في كشف الخطايا.

يجب للتائب أن يعترف بخطايا.. ولا يكتف منها شيئاً مهما أحس بالخجل. ولكن قد يقول المُعترف عنوان الخطية فقط ولا يدخل في التفاصيل إلا إذا سأله أبوه الروحي عن بعض التفاصيل من أجل إرشاده.. ولكن الأفضل في بعض الأمور عدم الغوص في التفاصيل التي قد تُخرج المُعترف عن قداسة هذه اللحظة وقد تجرح الكاهن والمُعترف في نقاوتهم.

والأمانة تقتضى ألا يتجمل الإنسان أمام أبيه الروحي وألا يبالغ وألا يعذر نفسه مبرراً المواقف متحججاً باستفزاز الآخرين أو سلوكهم الرديء.. وكأنه يقول (هم السبب).

وأغلب الخطايا تحتاج إلى دراسة أسبابها ومعرفة جذورها الخفية.. فلا يكفي أحياناً أن يقول (إنى غضبت على فلان) ولكن الأفضل أن يقول (أنا لا أحب فلان، ولهذا أغضب عليه مراراً)، أو (إنى أحب الفلوس.. لهذا أغضب بسببها كثيراً)، أو (إنى أشعر بالكبرياء وإنى أفضل الكل.. لهذا أغضب على من حولى لأنهم لا يفهموننى).

خامساً.. الإنصات الشديد لوصايا أب الاعتراف.

قد يتكلم أب الاعتراف مُعلقاً على كل خطية أو يظل صامتاً منصتاً.. هنا يجب على المعتترف أن يكمل اعترافه.. وإن تكلم أبوه لابد أن ينصت المعتترف جيداً لما يقول لأنه بقدر أمانته وخضوعه.. سيأخذ بركة التغيير والنصرة على خطاياهم. وقد يسأل المعتترف مستفسراً (كيف يمكن أن أفعل هذا؟ أو كيف يمكنني أن أهرب من هذا؟).

قال القديس الأنبا أشيعاء..

"لا تعمل عملاً في توبتك بدون مشورة.. فتعبر أيامك بنياح (راحة).. وكل فكر يحاربك إكشفه ولا تستج أن تقوله لمن هو أكبر منك بالروحانية (أب الاعتراف).. فيخف ذلك الفكر عنك ويذهب.. واعلم أنه لا يوجد شيء يفرح له الشياطين مثل إنسان يخفي أفكاره الردية.. أو الجيدة عن أبيه".

سادساً.. مراجعة القانون الروحي.

قبل نهاية جلسة الاعتراف.. الأفضل أن يراجع القانون الروحي مع أب الاعتراف.. ويُناقش جيداً لئلا يكون فوق قدرة المُعترف الإلتزام به أو أقل من إحتياجه.. لعل أبوه الروحي يضيف عليه أو يُنقص منه.. الأفضل أن يحدد أب الاعتراف لإبنه ما يجب أن يقرأه من الإنجيل أو يحفظ أجزاء منه أو يحدد معه عدد المزامير.. ومرات الصلاة أو ساعة الإنقطاع في الصوم أو ساعات الخدمة والإفتقاد.

سابعاً.. الخشوع والتضرع أثناء قراءة الحِل.

أخيراً يخضع المعتترف واقفاً أو راکعاً أمام الكاهن في خشوع ليأخذ حِل الغفران.. وهنا يُصلى في سره بإنسحاق طالباً الرحمة والغفران.. وهو يسمع الكلمات المقدسة من فم وكيل الله..

"أيها السيد الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد وكلمة الآب، الذي قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المُحيية، الذي نفخ في وجه تلاميذه القديسين ورسله الأَطْهَار وقال لهم.. إقبلوا الروح القدس، مَنْ غفرت لهم خطاياهم غُفرت وَمَنْ أَمْسَكْتُمُوهَا عَلَيْهِمْ أَمْسَكَتْ. أنت الآن أيضاً يا سيدنا من قبل رُسُلك الأَطْهَار أنعمت على الذين يعملون في الكهنوت كل زمان في كنيستك المقدسة أن يغفروا الخطايا على الأرض ويربطوا ويحلّوا كل رباطات الظلم. الآن أيضاً نسال ونطلب من صلاحك يا مُحب البشر عن عبدك (فلان) وضعفى.. نحن المُتحنين برؤوسنا أمام مجدك المقدس إرزقنا رحمتك، وأقطع كل رباطات خطايانا وإن كنا قد أخطأنا إليك في شئ بعلم أو بغير علم أو بجزع القلب، أو بالفعل أو بالقول أو بصغر القلب، فأنت أيها السيد العارف بضعف البشر كصالح ومحب البشر، اللهم أنعم لنا بغفران خطايانا.. طهرنا.. حاللنا.. حاللنا سائر شعبك.

إملأنا من خوفك وقومنا إلى إرادتك المقدسة الصالحة لأتُك أنت إلهنا ويليق بك المجد والكرامة والعزة والسجود مع أبينا الصالح والروح القدس المُحيي المساوي لك الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور.. آمين".

ويخرج المعتترف بعد الاعتراف شاعراً في قلبه بسلام وفرح لا يعبر عنهما.

محاذير داخل سر الاعتراف

وهنا نذكرك.. إحذر من..

أولاً.. التشتيت.

البعض يميل لسرد تفاصيل كثيرة والخروج عن الاعتراف.. وهذا له ضرره ليس على الوقت فقط وإنما على روح التوبة داخل سر الاعتراف، والبعض ينتقل بدون وعي من موضوع لموضوع دون أن يكون محدداً.. وهذا يجعله يكرر الكلام أو ينسى الخطايا الحقيقية. والبعض قد يأخذ وقت الإعراف فى عرض مشاكل أو شكاوى دون التدقيق فى التوبة وحساب النفس.

ثانياً.. التبرير أو الإسقاط.

البعض يذكر أسباباً خارجية وراء الخطايا.. ليس من أجل التوبة والإرشاد ولكن بروح التبرير.. كأن يقول (لأن الناس لبسها وحش جداً.. عندى نظرات شريرة).. وهذا لا يتناسب مع الإنسحاق "لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت".

وأحياناً يُحمّل المعترف الله أو الكاهن أسباب خطاياهم.. كأن يقول (ربنا لا يسمع لى).. (أنا صليت كثير ومافيش فايده).. (ربنا ليه بيحط الخطية فى سكتي)، أو يقول (أنا لم أجِدك يا أبونا.. أو أنت مش بتسأل على كفاية).

ثالثاً.. الإدانة.

فى جلسة الاعتراف.. قد يقع المعترف فى إدانة الآخرين.. كأن يدين الآباء الكهنة أو الشمامسة أو الخدام أو أهل بيته أو زملاء عمله أو رجال

الحكومة.. أو يتكلم عن شخص مخطئ في حقه باستفاضة مُعلنًا أسباب كراهيته له.. وهو بهذا يزيد خطاياه حتى أثناء الاعتراف بوقوعه في إدانة الآخرين.. وهذا يحتاج إلى صلاة حارة وتدقيق قبل الدخول للاعتراف.

رابعاً.. التجمل.

البعض أثناء الاعتراف يحاولون التجمل وتهوين الخطايا.. كأن يقول عن الكذب.. مبالغة، أو عن خطايا النجاسة.. علاقات مش حلوة وهى فى الحقيقة قد تكون زنى فعلى، أو عن السرقة.. عدم أمانة.. أو يحاول أن يظهر نفسه تقياً.. بعدم التدقيق فى وصف إلزاماته الروحية.. فيقول (غالباً بأصلى كل يوم) ولم يقل إنه يكتفى بصلاة "أبانا الذى" بدون تركيز، أو يقول (بأروح الكنيسة بانتظام) وهو عادةً يدخلها فى آخر القداس.

وهذا التجمل قد يلجأ له المعترف ظناً منه أن أبوه قد يشهد له أمام الآخرين، لعله يجد مكاناً أفضل فى الخدمة أو الوظيفة.

خامساً.. التعلق النفسى بأب الاعتراف (الدالة).

الأبوة نعمة من الله.. ويجب أن يحب المعترف أباه الروحي.. كى يتعلم منه ويستفيد، ولكن حين تصل العلاقة إلى تعلق نفسى.. غالباً ما تقف الفائدة.. ويصير الكاهن أحياناً كمن أخذ مكان الله فى الحياة الروحية.. فبدلاً من أن يلجأ المعترف للصلاة.. يلجأ للتليفون أو للكاهن فى كل مشكلة.. وبدلاً من أن يتوب بصدق.. يتوحد إلى الكاهن بكل الطرق.. أو يظهر إحتياجه الشديد لكى يشفق عليه الكاهن.. ويهتم به بالأكثر.

ومع التعلق.. تدخل خطايا أخرى مثل الغيرة من الآخرين والمقارنة المستمرة (مَن الأقرب لأبونا؟!!!).. وقد تصل إلى أفكار شريرة تجاه هذا الكاهن.

وقد يتسبب هذا المعترف - المتعلق بأبيه - فى عثرة الكاهن أو أسرته أو شعبه بسبب احساسهم بأن هناك محاباة أو تمييز لشخص على الآخرين.

سادساً.. الإستهانة بالسِر.

قد يستهين البعض بسر الاعتراف.. فلا ينتظم فيه.. وقد يكتفى بطلب الحِل أثناء صلاة القداس أو يكتفى بمرة كل سنة أو أكثر.. وقد يكتفى بطلب الحِل وقد يكتف خطايا كبيرة بسبب التهاون وعدم حساب النفس.. أو لا يصغى لتوصيات الأب الكاهن.. مثل هذا الإنسان لا يمكن أن ينمو روحياً لأن "الرَّخَاوَةَ لَا تَمْسِكُ صَيِّدًا أَمَّا ثَرْوَةُ الْإِنْسَانِ الْكَرِيمَةُ فَهِيَ الْإِجْتِهَادُ" (ام ١٢ : ٢٧).

سابعاً.. الوسوسة.

قد يقع البعض فى الوسوسة والتشكك.. كأن يكرر كلمة (هل اعترفت بهذا؟).. أنا خائف أكون نسيت حاجة؟.. أقول هذا لعله يكون خطية؟.. هل بهذا أنا تائب؟.. هل غفر لى الله حقاً؟.. وبعد جلسة الاعتراف.. عوض البهجة والسلام والغيرة.. يقع فى قلق شديد وأفكار متعبة.. (لعلنى لم أكن أميناً؟.. هل أبونا متضايق منى؟.. هل التفاصيل كانت ضرورية ولم أفلها؟).. هذا القلق والوسواس.. حرب لا بد من تجاهلها والإكثار من الصلاة والجهاد.. والله قادر أن يعطى سلاماً وهدوءاً وفرحاً حقيقياً.

ثامناً.. الخجل المعطل.

من الضرورى أن يشعر الإنسان التائب بخجل من خطيته.. خجل فى الصلاة.. وخجل من نفسه.. وخجل من أبيه الروحى.. بسبب ضعفه.. وهذا يساعده على عدم العودة للخطية.

لكن ينبغي أن يحذر المعترف من أن يصل الخجل إلى درجة تعطله عن الاعتراف.. أو تدفعه للكذب على أبيه الروحي.. هنا يصير الخجل رذيلة.. لأنه خاف من الناس ولم يخف من الله.

وكما تسلمنا من الآباء القديسين.. يحاول عدو الخير أن يجعلك تخجل من الاعتراف بالخطية وينزع منك الخجل قبل حدوثها.. ولكن بالتوبة تتعلم أن تخجل قبل حدوثها.. ولا تخجل عند الاعتراف بها.

قال القديس يوحنا ذهبي الفم..

"إخجل عندما تخطئ.. ولا تخجل عندما تتوب.. فالخطية هي الجرح والتوبة هي العلاج.. الخطية يتبعها الخجل.. والتوبة يتبعها الجرأة.. لكن الشيطان قد عكس هذا الترتيب فيعطى جرأة في الخطية وخجل من التوبة".

تاسعاً.. الشك في أب الاعتراف.

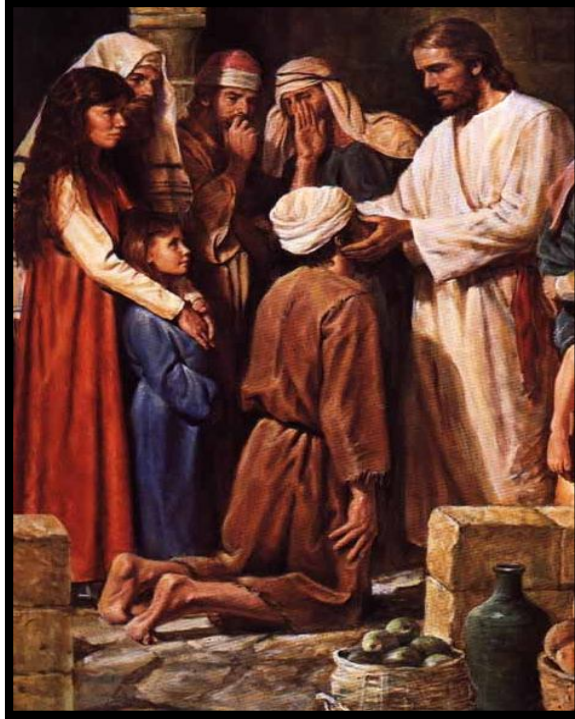
يقول القديس يوحنا الدرجي..

"من بعد دخولك في طاعة أبيك لا تفتشه ولا تدينه ولا تستبدله.. بل ليكن فيه إيمان"

ويقول أيضاً.. "أنه بمقدار ما يزداد القلب ثقة بالأب الروحي.. يزداد الجسد سرعة في الطاعة والخدمة.. أما إذا ساوره الشك فيه فقد سقط لأنه.. "كل ما ليس من الإيمان فهو خطية" (رو ١٤ : ٢٣).

فالشك في أب الاعتراف حيلة شيطانية تُعطل الخضوع له.. وتمنع الإنتظام في الاعتراف.. وتجعل التائب فريسة لشيطان الفردية والتكبر.. فلا بد أن يكشف المعترف هذه الخطية حتى لأبيه الروحي بإتضاع.. ويتوب عنها لئلا تسقطه في خطايا أخرى.

الباب السابع



الاعتراف والطب الروحى

"لَا يَحْتَاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لَدَعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (مر ٢ : ١٧).

إعتبر السيد المسيح الخطاة مرضى يحتاجون إلى طبيب.. وبهذا المعنى يُعتبر سر الاعتراف جلسة طب روحى بين مريض روحى وطبيب روحى.. الطبيب يتشبه بالمسيح الشافى.. والمريض هو الخاطئ التائب الذى يبحث عن شفاء.

وفى رسالة يعقوب.. إقترن سر الاعتراف بسر مسحة المرضى تأكيداً لنفس المعنى.. "أَمْرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شَيْوْخَ (قسوس) الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بَزَيْتِ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلَاةُ الْإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يَقِيْمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيئَةً تُغْفَرُ لَهُ، اعْتَرَفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَّاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا. طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا" (يع ٥ : ١٤ - ١٦).

يظهر من هذا النص.. إن المريض يعترف على الكاهن الذى يُصلى لأجله.. طالباً له الشفاء والغفران فى آن واحد.. ويستخدم الزيت المقدس بإسم الرب (والرب يقيمه).. وهذا إمتداد طبيعى لما استلمه الرسل من الرب "أَخْرَجُوا شَيَاطِينَ كَثِيرَةً وَدَهَنُوا بَزَيْتِ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ" (مر ٦ : ١٣).

وجلسة الاعتراف.. يتقدم فيها المعترف بشكواه من نفسه كأى مريض.. ويعقبها سلسلة من الأسئلة للإستيضاح والبحث فى الأسباب والنتائج.. ثم تنتهى بالنعمة فى الحل. والإرشاد هو بمثابة (الروشتة) التى قد يكتبها الكاهن بيديه شاملة بعض النصائح للمعترف لكى يتذكرها.. أو الآيات التى بمثابة الأدوية اللازمة لإيقاف الداء.

وكما لا يخجل المريض من طبيبه ولا يتجمل.. ويتوخى الدقة فى شرح مشاكله.. كذلك المعترف لا يخجل من أبيه الروحى ويدقق فى عرض خطاياه وضعفاته.. ويسأل بنفسه عن العلاج ويتبعه بحرص.

ووراء كل عَرَض هناك مرض.. وقد يكون نفس العَرَض لأمراض كثيرة.. فكما أن للصداع عشرات الأسباب.. كذلك خطية الإدانة لها أسباب كثيرة.. مثل عدم المحبة أو الكبرياء أو الغيرة أو الفراغ أو الكلام الباطل أو قسوة القلب....

ومهارة الطبيب الروحي ألا يعالج العَرَض بل المرض أيضاً.. وينبه المريض (المعترف) إلى خطورة المرض نفسه.. ويركز في العلاج على المرض المتخفى أكثر من العَرَض الظاهري.

وكما أن الطب يحتاج لمراجعة مستمرة.. كذلك الاعتراف يحتاج لإعادة الاعتراف بانتظام.. ولأن الإنسان في حياته على الأرض لا تنتهي أمراضه الروحية وحروبه المستمرة.. هكذا يحتاج لمعاودة أبيه الروحي بانتظام.

وقد يحتاج المريض لزيارة الطبيب مرات عديدة متتالية في الحالات الصعبة والمؤلمة.. كذلك في بعض الأحيان قد يركض المعترف لأبيه الروحي مرات متعاقبة بسبب ضغط الحرب عليه.. إلى أن تهدأ.. ويعاود الانتظام في السر بالمعدلات المتفق عليها.

وكما أن الطبيب يُستشار في قرارات خاصة بحياة المريض.. مثل السفر والعمل والأكل.. كذلك يُستشار الكاهن في أمور الحياة - بعد الاعتراف - وبعلمه الروحي وعلمه بشخص المعترف وظروفه.. يكون له نعم المرشد.. ويعطيه صواب الرأي.. ويشترك معه في القرار.

وقد يظن المريض أنه قادر على علاج نفسه.. أو يأخذ علاجاً سمع عنه أو اكتشف جدواه مع مريض مشابه.. ولكن عادةً لا يصلح هذا العلاج بدون إرشاد الطبيب.. كذلك المعترف قد يظن أنه قادر أن يعالج نفسه روحياً مستغنياً عن الطبيب الروحي أو يأخذ إرشاداً كان لشخص آخر.. ويتبعه متصوراً أنه وجد الشفاء الناجح، ولكن بدون التلمذة المباشرة والمواجهة

المستمرة لن يحصل على الشفاء.. ولا ننسَ عطية (الحل) الذى هو بمثابة مشرط الجراح الذى يقطع ويخلع عن المعترف ثقل الشر ورباطات الظلمة.. ويحرره من تسلط إبليس عليه.

بهذا الشأن يقول القديس يوحنا الدرجى..

"أحياناً يكون دواء الواحد سماً للآخر.. وأحياناً أخرى يكون هذا الدواء عينه شافياً للإنسان عينه إذا أعطى له فى أوانه وسمّاً إذا أعطى له فى غير أوانه".

وكما أن الطبيب يحتاج لجراحة أحياناً حين تفشل الأدوية العادية.. كذلك يلجأ أب الاعتراف لبعض التأديبات والقوانين فى بعض الحالات وبالأخص المستهترة.. من أجل إنقاذ النفس.

يتحسن المريض - عادة - حين يتبع روثة العلاج بدقة فى مواعيدها وللفترة المحددة من قبل الطبيب وبالجرعة المناسبة.. وليس كما يقرأ فى ورقة الدواء بل كما حددها له طبيبة.. هكذا المعترف.. يتقدم روحياً بطاعته لأبيه الروحى والتزامه بكل ما يُقال له داخل سر الاعتراف.. وبحرصه الشديد على الشفاء العاجل.

قال القديس يوحنا الدرجى..

"إكشف جرحك للطبيب.. إكشف.. تكلم.. ولا تخجل.. الجرح جرحى يا أبى وقد صار بسبب تهاونى أنا وليس بسبب أحد آخر.. وفى الاعتراف كن كمجرم مدان فى مظهرك وفكرك وسلوكك.. مطرقة برأسك إلى الأرض".

الباب الثامن



سر الاعتراف وبقيت الأسرار المقدسة

سر التوبة والاعتراف هو أساس الدخول لممارسة كل الأسرار الأخرى. فإن كان الإنسان واعياً ناضجاً.. لا بد من توبة صادقة واعتراف كامل قبل الشروع في **سر المعمودية**.. ولا بد أن يتأكد الكاهن من سلامة إيمانه وتوبته قبل نزوله جرن المعمودية ونوال **سر الميرون المقدس**.. وللاقترب من **سر التناول** لا بد أن يكون الإنسان تائباً. وقد لا يستطيع الإنسان أن يعترف قبل كل مرة يتقدم للتناول.. لكن ينبغي أن يكون له أب اعتراف ولا يتباعد عن سر الاعتراف كثيراً لئلا تُحسب له دينونة لعدم استحقاقه.

الاستحقاق.. لا يعنى أن الإنسان صار كاملاً خالياً من الخطايا، لكن الاستحقاق نعمة يأخذها التائب.. المؤمن.. الأمين في جهاده ورفضه للشر.. لهذا يقول الشماس في نهاية القداس.. "صلوا من أجل التناول بإستحقاق من هذه الأسرار المقدسة السمائية.. يا رب أرحم".

فطلب الرحمة المستمر هو الذى يجعل الإنسان مستحقاً للتقدم للأسرار.. لهذا.. فالقداس الإلهى هو امتداد لرحلة التوبة المستمرة في حياة المسيحى.

وحين يتقرّب الإنسان ل**سر مسحة المرضى**.. لا بد أن يعترف أولاً.. لأن مرضه قد يكون تأديباً - من الله - أو توجيهاً لمزيد من التوبة والنقاوة.. وقد يكون المرض أحياناً نتيجة مباشرة لبعض الخطايا وتكون رسالة واضحة "ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشْر" (يو ٥ : ١٤).

فالمريض هنا يعترف.. ويصلى مع الكاهن صلاة القنديل.. ثم يُمسح بزيت مسحة المرضى.. برجاء الغفران أولاً والشفاء الجسدى ثانياً.. لأن الشفاء الروحى له أهمية أكبر وقيمة أعظم ويتفق دائماً مع إرادة الله.. حتى لو لم يسمح الله بالشفاء الجسدى.

وحين يتقرب الخطييين من المذبح للإرتباط الزيجى المقدس.. لابد لهما من التوبة والاعتراف أولاً.. "هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ" (اف ٥ : ٣٢).

وعلى مثال اتحاد المسيح بالكنيسة.. فيحتاج كل منهما أن يخلع الماضى ويبدأ عهداً جديداً بنقاوة وصدق.. فالتوبة شرط للزواج المسيحى وبدونها لا يكون الزواج كاملاً ومقدساً.

وأخيراً.. سر الكهنوت.. يحتاج لمن يُزكى إليه أن يكون تائباً دائماً.. ولابد أن يتقدم لسر الاعتراف أولاً قبل يوم رسامته.. ليعلن ضعفه وعجزه وعدم استحقاقه أمام أبيه الروحى.. ويأخذ بركته ورضاه أولاً.. ويأخذ نصائحه وتوصياته.

وقد يمنع الأب الروحى ابنه من هذا السر.. إذا لم يجده تائباً أو وجد فيه خطية صعبة قد تُعثر الشعب بعد الكهنوت.. ويتابع معه جهاده فترة أطول لعل الله يتم هذا الاختيار فى وقت آخر.

الأب الروحى.. يمثل دور الكنيسة الأم.. فهى تلد أولادها بالمعمودية وترببهم بالتعليم المستقيم وتغذيهم بالإنجيل والتناول وتقدس بيوتهم بسر الزواج المقدس وتشفيهم بسر مسحة المرضى وتختار منهم وتكرسهم لقيادة الشعب وخدمته فى الكهنوت، وفى كل هذه.. يكون الشرط الأساسى هو التوبة ونقاوة السيرة.

الباب التاسع



الاعتراف والنمو الروحي

التوبة المستمرة هي الطريق المستقيم للعمق الروحي والنمو في الفضائل والتشبه بالمسيح.. هي طريق القداسة الوحيد الذى لا بديل له "إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ" (لو ١٣ : ٣).

التوبة تكمل بالاعتراف.. والنمو الروحي يحتاج إلى تلمذة مستمرة.. وهكذا تظهر قيمة أب الاعتراف فى حياة الإنسان الروحية.

يبدأ الإنسان حياته الروحية - عادة - بالتوبة عن الخطايا الواضحة وكأنه يبدأ بوصايا العهد القديم "لا تسرق.. لا تزنى.. لا تقتل.. لا تشهد بالزور.." ثم ينمو من خلال التوبة والاعتراف إلى وصايا الكمال وصايا العهد الجديد "لا تغضب.. لا تنظر نظرة شريرة.. لا تحلف البتة.. أحبوا أعداءكم.. لا تدينوا لكى لا تدانوا.." ومتابعة أب الاعتراف للمعترف هي التي تصعد به هذا السلم الروحي تاركاً الرذائل والتعديت متقدماً إلى الفضائل والمثاليات.. نامياً فى كل عمل صالح.

والإنسان بعيداً عن سر الاعتراف.. قد يكتفى بأول السلم ويظن فى نفسه أنه تم كل شئ.. وقد يقع فى خطايا أخرى كثيرة وهو لا يدري أنها خطايا بسبب غياب الإرشاد والتلمذة.

سر الاعتراف هو طريق التواضع "يُقَاوِمُ اللَّهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (يع ٤ : ٦)، لأن الاعتراف يجعل الإنسان يخضع للآخر.. ويكشف أوجاعه وخطايا.. وهو بهذا يحمى نفسه من شيطان الكبرياء والبر الذاتي.

وقد يشمل سر الاعتراف بعض التوبيخ واللوم.. وهذا دواء مر يحتاجه الإنسان ليتقدم فى طريقه.. ويصير أكثر جدية.. هادفاً إلى خلاص نفسه.

سر الاعتراف هو طريق التدقيق.. والتدقيق بجعل الإنسان أقل خطأ وأكثر تقوى.. لأن التدقيق من صفات الحكماء "فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لَا كَجُهْلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ" (اف ٥ : ١٥)

وسيرة الآباء القديسين هي أعظم شاهد لقيمة التلمذة والخضوع لأب الاعتراف.. لأنهم جميعاً سلكوا هذا الطريق بدون إستثناء. "كَذَلِكَ أَيُّهَا الْأَحْدَاثُ اخْضَعُوا لِلشَّيُوخِ، وَكُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرَّبِلُوا بِالتَّوَاضُّعِ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (ابط ٥ : ٥).

والإنسان الروحي يسعى للكمال بلا توقف.. "وَهَذَا أَصْلِيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضاً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الْأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلَا عَثَرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ، مَمْلُوءِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي يَبْسُوعُ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ" (فى ١ : ٩ - ١١)

قال القديس يوحنا الدرجى..

"إن النفس التى ألّفت الاعتراف.. ترتبط به كما بلجام يمنعها من الخطية.. لأن الخطايا التى بلا اعتراف تستمر فى إرتكابها كما لو كنا نرتكبها فى الظلام".

الباب العاشر



الاعتراف وأحياء الجديدة

حسب إيماننا الأرثوذكسى.. المسيحى يبدأ حياته الجديدة بميلاده الجديد فى سر المعمودية.. إن كان ناضجاً.. يحتاج لفترة الموعوظين لتكتمل توبته ويثبت إيمانه قبل نواله سر المعمودية والميرون. وإن كان طفلاً يُعمد على إيمان والديه ويكون أشبينه مسئولاً أمام الله عن إيمانه وتعليمه وحياته فى التوبة مستقبلاً.

لكن الحياة الجديدة.. تحتاج إلى تجديد مستمر.. كما يقول معلمنا بولس الرسول.. "لَا تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِذْ خَلَعْتُمْ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمْ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ،" (كو ٣ : ٩ - ١٠).

هنا فعل "خلعتم"، "لبستم".. يقصد به سر المعمودية.. أما فعل "يتجدد" فهو عمل التوبة المستمر الذى يكتمل بالتلمذة وسر الاعتراف.

إذاً الحياة الجديدة تحتاج إلى تجديد مستمر.. وهذا يحتاج إلى غذاء روحى فى التعاليم والتلمذة ونوال سر التناول بانتظام.. ويحتاج إلى إغتسال مستمر من كل آثار الخطايا اليومية فى سر التوبة والاعتراف.

"الَّذِي قَدْ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ" (يو ١٣ : ١٠). وهكذا يُعلمنا السيد المسيح أن الذى نال سر المعمودية لا يحتاج إلى إعادتها مرة أخرى.. بسبب الخطايا الجديدة.. وإنما يحتاج إلى غسيل رجليه المستمر بالتوبة والاعتراف.

وهنا يظهر أحد جوانب هذا السر العميق.. أن الكاهن يتشبه بسيدنا يسوع المسيح - له المجد - حين يجلس تحت أرجل التلاميذ ليغسل أقدامهم.. ومن هنا لابد للكاهن أن يحتمل ضعفاته وأولاده.. وخطاياهم.. ويغسل عنهم بنعمة الله كل ذنب.

وبنفس هذا المعنى يذكر معلمنا بولس في رسالة أفسس "أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جَهَةِ التَّصَرُّفِ السَّائِقِ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذَهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ." (أف ٤ : ٢٢ - ٢٤).

ومرة أخرى.. فعل الخلع واللبس للمرة الأولى.. هو عمل المعمودية.. "لأنَّ كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمْ الْمَسِيحَ" (غل ٣ : ٢٧).
أما عملية اللبس المستمر.. والتجديد.. فهو عمل سر التوبة والاعتراف.. فالمُعترف الأمين يتقدم لهذا السر كمن يطلب حياة جديدة.. حياة سماوية تشبه ما ورد في سفر الرؤيا.. "سَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صَرَاحٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ. وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيداً" (رؤ ٢١ : ٤ - ٥).

فالتائب الحقيقي يغتسل في دموعه.. ويخرج من سر الاعتراف كمن يخرج من جرن المعمودية نقياً.. جديداً.. مُشرقاً.. فرحاً.. مُقبلاً على حياة جديدة يسكن فيها البر.. "وَلَكِنَّا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ" (٢بط ٣ : ١٣).

وبالتوبة المستمرة يستطيع الإنسان الجديد التمتع بخبز الحياة النازل من السماء الواهب الحياة للعالم.. وبالتوبة المستمرة يستطيع الإنسان الجديد التشبه بالمسيح في كل الفضائل.

الحياة الجديدة.. تنبع من قوة القيامة.. فالإنسان الجديد هو من تذوق الموت مع المسيح وقام معه.. "فَدُفِنَا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسْأَلُكَ نَحْنُ أَيْضاً فِي جَدَّةِ الْحَيَاةِ" (رو ٦ : ٤).

وتتجدد قوة القيامة فى كل مرة نتوب ونعترف.. والميطانية كتعبير توبة..
هى نزول الرأس للأرض كمن يموت بإرادته.. ثم إرتفاع الرأس مرة
أخرى بقوة القيامة.

أما الخضوع أمام أب الاعتراف فهو إنحناء الرأس أو الركوع ثم القيام
مرة أخرى بفرح القيامة الجديدة.. "مبارك و مقدس من له نصيب فى القيامة
الاولى هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم" (رؤ ٢٠ : ٦).

وبنفس المعنى يقول السيد المسيح - له المجد - .. "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ
تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ (توبة كل حين) حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ (بالخطايا) صَوْتَ
ابْنِ اللَّهِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يو ٥ : ٢٥).

وكأن التائب المعترف حين يسمع كلمات الحل من فم أبيه الروحى.. تحيا
نفسه ويبدأ حياة جديدة بفرح الروح القدس.

أخيراً.. ماذا اعترف؟

أولاً.. نظام إلهي.

وضعه المسيح له المجد، مارسه الرسل، سلمته الكنيسة للأجيال،
اختبره كل القديسين التائبين.

ثانياً.. إكمال التوبة

تحتاج التوبة إلى فضح الخطية، وسحق الكبرياء أم الخطايا، وهذا
يكتمل في الاعتراف.

ثالثاً.. التمتع بالأبوة

يرى المعترف المسيح في أبيه الروحي، فبوداعته يعطيه ثقة في
الغفران، وبتقواه يعطيه خوفاً من التهاون.

رابعاً.. التلمذة المستمرة

من خلال الاعتراف.. لينمو الإنسان من مجد إلى مجد، ويتقدم في
طريق الكمال.

خامساً.. إرشاد وإستشارة

داخل السر يتعلم المعترف كيف يصلّى، كيف يهرب من الخطية، كيف يتصرف فى كل الأمور، كيف يقاوم الشر، كيف يغيّر فكره، كيف يحب أن يخدم الآخرين؟

سادساً.. غلبة الشيطان

بقوة عمل الروح القدس فى السر، وصدق المعترف فى التوبة، لا تقوى عليه الشياطين، ويتمتع بالإننتصار الروحى والتقدم.

سابعاً.. ثبات فى الجسد الواحد (الكنيسة)

العضو الحقيقى فى الجسد.. حين يخطئ.. يخطئ فى حق الجسد الواحد، وحين يعود.. يعود لمكانة الطبيعى بالتوبة للرأس (المسيح) والجسد (الكنيسة).

ثامناً.. راحة نفسية.

كتمان الخطايا يولد قلقاً وضيقاً وخوفاً، أما كشفها فيعطى سلاماً وفرحاً وعزاءً.

الفهرس

رقم الصفحة	بيان
٥	مقدمة
	• الباب الأول
٧	معانى كلمة الاعتراف فى الكتاب المقدس
	• الباب الثانى
١٣	التوبة والاعتراف
	• الباب الثالث
١٩	شواهد من الكتاب المقدس على حقيقة سر الاعتراف
	• الباب الرابع
٣١	الاعتراف والأبوة
	• الباب الخامس
٣٥	الاعتراف والتواضع
	• الفصل السادس
٤١	كيف أعترف؟
	• الفصل السابع
٥١	الاعتراف والطب الروحى
	• الفصل الثامن
٥٥	سر الاعتراف وبقية الأسرار المقدسة
	• الفصل التاسع
٥٩	الاعتراف والنمو الروحى
	• الفصل العاشر
٦٢	الاعتراف والحياة الجديدة